حكايات الشعوب

الفراشة الصفراء

وحكايات أخرى
من إفريقيا



عبد التواب يوسف

رسوم : رأفت محيى الدين

سفير

الفراشة الصفراء

و حكايات أخرى
من
إفريقيا

عبد التواب يوسف
رسوم
رأفت محيي الدين



الشَّمْسُ والْقَمَرُ

فِى الْمَاضِى الْبَعِيدِ ، الْبَعِيد جدًا ، كَانَت « الشَّـمْسُ » تَعِيشُ عَلَى الأَرْضِ ، مِثْلَمَا يَعِيشُ عَلَيْهَا «الْبَحْرُ» . وَقَـدْ تَـعوَّدَت الشَّمْس بَيْنَ حِينٍ وآخرَ عَلَى زِيارَتِه ، ورُبَّمَا أَطَالَت الْمُكُوثَ لَدَيْه، تَتَبَادَلُ مَعَهُ الْحَدِيثَ الْمُمْتِعَ ، ويَتَنَاقَلان أَخْبَارَ هَذَا الْكَوْنِ الَّذِى كَانَ مَا يَزَالُ وَلِيدًا صَغِيرًا ، لكِنَّهَا تَنَبَّهَتْ إِلَى أَمْرٍ صَارَحَتْ بِهِ صَدِيقَهَا الْبَحْرَ :

- لَقَدْ تكَرَّرَتْ زِيَارَتِى لَكَ !

- إِنَّهُ كَرَمٌ مِنْك بِدُونِ شَكٍّ !

- لَكِنَّكَ لَمْ تَرُدَّ الزِّيَارَةَ قطُّ .

- ظُرُوفِى تَمْنَعُنِى مِنْ ذَلِكَ ، مَعَ الأَسَفِ الشَّدِيدِ !

- أَىُّ ظُرُوفٍ تَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَدَاءِ هَذَا الْوَاجِبِ ؟ .

- إِنَّنِى كَبِيرٌ وَاسِعٌ مُتَـرامِى الأَطْرَافِ ، ثُمَّ إِنَّ عِنْدِى أَبْنَاءً وأَحْيَاءً ومَخْلُوقَاتٍ كَثِيرَةً ؛ مِنْ حِيتَانٍ وأَسْمَاكٍ وَطُيُورٍ وَسِبَاعٍ ، وَ . . . لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتْرُكَهَا ، كَمَا أَنَّ بَيْتَكِ لا يُمْكِنُ أَنْ يَسعَهَا .

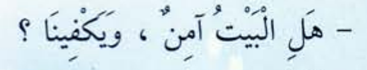
قَالَتِ الشَّمْسُ :عُذْرُكَ هَذَا مَقْبُولٌ ، ولَيْسَ أَمَامِى إِلا أَنْ أَقُومَ بِبِنَاءِ بَيْتٍ كَبِيرٍ ضَخْمٍ ، يَتَّسِعُ لِلأَصْدِقَاءِ الْقَادِمِينَ لِزِيَارَتِى ، بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ ؛ وبِذَلِكَ لا يَكُونُ لَكَ عُذْرٌ تُبَرِّرُ بِهِ عَدَمَ زِيَارَتِكَ لِى .

قَالَ الْبَحْرُ : شُكْرًا عَلَى دَعْوَتِكِ الْكَرِيمَةِ ، ولا بُدَّ أَنْ نُلَبِّيَهَا ، ونَسْعَدَ بِوُجُودِنَا فِى قَصْرِكِ الْكَبِيرِ .

بَدَأَتِ الشَّمْسُ تَبْنِى الْبَيْتَ ، يُعَاوِنُهَـا فِى ذَلِكَ الْقَمَرُ ،زَوجُهَا الْمُخْلِصُ ، وكَانَا يَرْغَبَـانِ فِى أَنْ يَزُورَهُمَا «البحرُ» وَأَعْوَانُهُ وأَصْحَابُهُ ؛ لِذَلِكَ قَامَا مَـعًا يُشَيِّـدَانِ بَيْتًا كَبِـيرًا مُتَّسِـعًا ؛ كَىْ يَسْتَـقْبِلا فِيـهِ الضَّيْفَ وأَتْبَاعَهُ ، كَـالْحُوتِ وَالدَّرْفِيلِ، ثُمَّ قَدَّمَا لَهُ الدَّعْوَةَ ؛ لِيَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمَا بِالزِّيَارَةِ ، فَسَأَلَ :

- هَلِ الْبَيْتُ آمِنٌ ، ويَكْفِينَا ؟

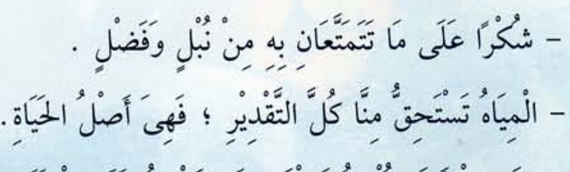
- نَعَمْ .



- شُكْرًا عَلَى مَا تَتَمَتَّعَانِ بِهِ مِنْ نُبْلٍ وَفَضْلٍ .

- الْمِيَاهُ تَسْتَحِقُّ مِنَّا كُلَّ التَّقْدِيرِ ؛ فَهِىَ أَصْلُ الحَيَاةِ.

- مَا مِنْ أَحَدٍ يُنْكِرُ فَضْلَكِ يَا شَمْسُ عَلَى الْحَيَاةِ.







- هيَّا ، تعَالَ يَا بَحْرُ ، إنَّنَا فِي انْتِظَارِكَ .

وتَبْدأُ الْمِيَاهُ فِي التَّدفُّقِ ؛ أَمْوَاجًا إثْرَ أَمْوَاجٍ ، حَامِلَةً مَعَهَا كُلَّ الأَحْيَاءِ وَالْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْبَحْرِ ؛ لِتَدْخُلَ بَيْتَ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ ، وَأَخَذَتْ تَعْلُو .. وَتَعْلُو .. وَتَعْلُو ،حَتَّى مَاعَادَ هُنَاكَ مَكَانٌ لِصَاحِبَي الْمَنْزِلِ ؛ لِذَلِكَ أَخَذَا يَصْعَدَانِ إِلَى سَطْحِ الْبَيْتِ ، وَهُمَا خَجُولانِ ، فَمَا كَانَا يَتَصَوَّرَانِ أَنْ يَضِيقَ بِهِمَا الْبَيْتُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ.

وَبَدَأَتِ الْمِيَاهُ تَغْمُرُ كُلَّ أَرْجَاءِ الدَّارِ ،وَوَصَلَتْ سَقْفَهُ وَتَجَاوَزَتْهُ ارْتِفَاعًا إِلَى السَّطْحِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُرَحِّبَانِ بِالْوَافِدِ الضَّيْفِ ، وَاضْطُرَّا إِلَى مُغَادَرَةِ الْمَكَانِ وَالصُّعُودِ إِلَى أَعْلَى .. إِلَى أَعْلَى .. إِلَى أَعْلَى.

لَمْ يَعُدْ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مَكَانٌ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ ؛ لأَنَّ الْبَحْرَ احْتَلَّ بَيْتَهُمَا ، رَغْمَ اتِّسَاعِهِ ، وَسَكَنَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فِي السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ ، وَاسْتَقَرَّا فِيهَا ؛ لِيَتَطَلَّعَ إِلَيْهِمَا النَّاسُ ، وَلِيَتَذَكَّرُوا مَدَى كَرَمِهِمَا وَجُودِهِمَا .

وَكَانَتِ الشَّمْسُ خِلالَ النَّهَارِ تَفْرِشُ مِيَاهَ الْبَحْرِ بِنُورِهَا ، وَتَمُدُّهُ بِالدِّفْءِ وَالْحَرَارَةِ ، وَكَانَتْ هَذِه بِدَوْرِهَا تَقُومُ بِتَحْوِيلِ بَعْضِ الْمِيَاهِ إِلَى بُخَارٍ يَصْعَدُ إِلَى أَعْلَى لِرَغْبَتِهِ فِي زِيَارَةِ الشَّمْسِ ، حَيْثُ هِيَ فِي سَمَائِهَا .

وَكَانَ الْقَمَرُ لَيْلا يُغَطِّي سَطْحَ الْمِيَاهِ بِضَوْءٍ فِضِّيٍّ جَمِيلٍ ، يَلْمَعُ وَيَتَأَلَّقُ ، وَكَانَ الْبَحْرُ بِدَوْرِه يَعْكِسُ هَذَا الضِّيَاءَ لِيَتَجَمَّلَ بِهِ كَوْكَبُ الأَرْضِ كُلُّهُ .

إِنَّ الصِّلَةَ بَيْنَ الْبَحْرِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَمْ تَنْقَطِعْ قَطُّ مُنْذُ صُعُودِهِمَا إِلَى السَّمَاءِ . لَقَدْ بَقِيَتْ عَلاقَةُ الصَّدَاقَةِ قَائِمَةً أَبَدَ الآبَادِ .

وَيَقُولُ الأَفَارِقَةُ :

إِذَا كَانَ هَذَا يَحْدُثُ بَيْنَ هَذِه الْجَمَادَاتِ ، فَيَجْدُرُ بِهِ أَنْ يَقَعَ بَيْنَ الْبَشَرِ ، أَصْحَابِ الْعُقُولِ الذَّكِيَّةِ !



الْكُلُّ يَتَكَلَّمُ

الْوَقْتُ : صَيْفٌ .

الشَّمْسُ تُرسِلُ أَشعتَهَا النَّارِيَّةَ عَلَى الْحَقْلِ الصَّغِيرِ ، وَصَاحِبِهِ ، وقَدْ أَخذَ يَحْفِرُ الأَرْضَ بِفَأْسِهِ ؛ لِيُيَسِّرَ لِنَفْسِهِ اقْتلاعَ الْبَصلِ وَالْجزَرِ ، وكَانَ قَدْ نَسِيهُمَا طَوِيلا ، ولَوْلا عِنايَةُ السَّمَاءِ بِهِمَا ومَا بَعَثَتْ بِهِ مِنْ غَيْثٍ ، مَا نَبَتَا ، وأَطَلَّتْ شوَاشِيهِمَا الْخضرَاءُ مِنْ بَاطِنِ التُّرْبَةِ . لَقَدْ غَفَلَ عَنْهَا ، ولَمْ يُنَقِّ مِنْ حَوْلِهَا الْحَشَائِشَ الْعَشْوَائِيَّةَ الْبَرِّيَّةَ الَّتِى قَاسَمَتْهَا طَعَامَهَا وَضَوْءَ الشَّمْسِ ، وَمَا إِنْ فَتَّحتِ الْجزَرَةُ عَيْنَيهَا عَلَى النُّورِ، حَتَّى قَالَتْ لَهُ مُعَاتِبَةً :

- آهْ . . هَا قَدْ تَذَكَّرْتَنَا أَخيرًا . جِئْتَ لِلْحصَادِ !

تَلَفَّتَ الْفَلاحُ مِنْ حَوْلِهِ بَاحِثًا عَمَّنْ يَتكَلَّمُ ، فَلَمْ يَجِدْ أَحدًا ؛ فَازْدَادَ دَهْشَةً عَلَى دَهَشِهِ ، وتَطَلَّعَ إِلَى الْبَقَرَةِ الَّتِى كَانَتْ تَقِفُ بِجَانِبِهِ وَهِىَ تَجْتَرُّ طَعَامَهَا ، وَسَأَلَهَا :

- هَلْ أَنْتِ الَّتِى تَكَلَّمْتِ ؟

لَمْ تَرُدَّ الْبَقَرَةُ ؛ فَقَدْ كَانَ فَمُهَا مُمتَلِئًا بِالطَّعَامِ ، وَقَدْ دَرَّبَتْ نَفْسَهَا عَلَى أَلا تَتَكَلَّمَ أَثْنَاءَ ذَلِكَ ؛ إِذْ يَتَطَايَرُ مِنهَا رَذَاذٌ يُصِيبُ مَنْ حَوْلَهَا ، لَكِنَّ صَوتًا ارْتَفَعَ ؛ لِيَرُدَّ عَلَى الْفَلاحِ قَائِلا :

لَمْ تَكُنِ الْبَقَرَةُ هِىَ الْمُتَحَدِّثَةَ إِلَيْكَ ، وَإِنَّمَا هِىَ الْجَزَرَةُ الَّتِى اقْتَلَعْتَهَا مِنَ الأَرْضِ .

نَظَرَ الفَلاحُ مَصْعُوقًا إِلَى عَنْزَةٍ تَقِفُ بِجَانِبِ الْبَقَرَةِ ، وَسَأَلَهَا : هَلْ تَكَلَّمْتِ يَا عَنْزَتِى الْعَزِيزَةَ؟

- مَنْ تَظُنُّ تَكَلَّمَ غَيْرَهَا ؟

- الصَّوْتُ يَأْتِينِى الآنَ مِنْ أَعْلَى .

- نَعَمْ ، إِنَّهُ صَوْتِى أَنَا .

- مَنْ ؟ النَّخْلَةُ ؟

- إِنَّهَا أَنَا ، وَلَا شَىْءَ غَيْرِى ، لَقَدِ اقْتَلَعْتَ جَرِيدِى أَمْسِ .

- كُنْتُ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ .

- وَلَكِنَّكَ وَضَعْتَهُ مِنْ أَعْلَى ، فَكِدْتَ تَكْتُمُ أَنْفَاسِى .

- مَنْ تَكُونُ يَا مَنْ تَتَحَدَّثُ إِلَىَّ مِنْ عَلَى الأَرْضِ ؟

- أَنَا الْحَجَرُ .

- حَتَّى الْحَجَرُ يَتَكَلَّمْ ! وَالْجَمِيعُ يَلُومُونَنِى ؟ إِنَّنِى لَنْ أَبْقَى دَقِيقَةً وَاحِدَةً فِى هَذَا الْحَقْلِ الْمَسْحُورِ .

جَرَى الْفَلَاحُ مُغَادِرًا الْحَقْلَ ، وَظَلَّ مُنْطَلِقًا بِأَقْصَى سُرْعَةٍ إِلَى أَنِ الْتَقَى مَعَ صَيَّادِ سَمَكٍ ، سَأَلَهُ :

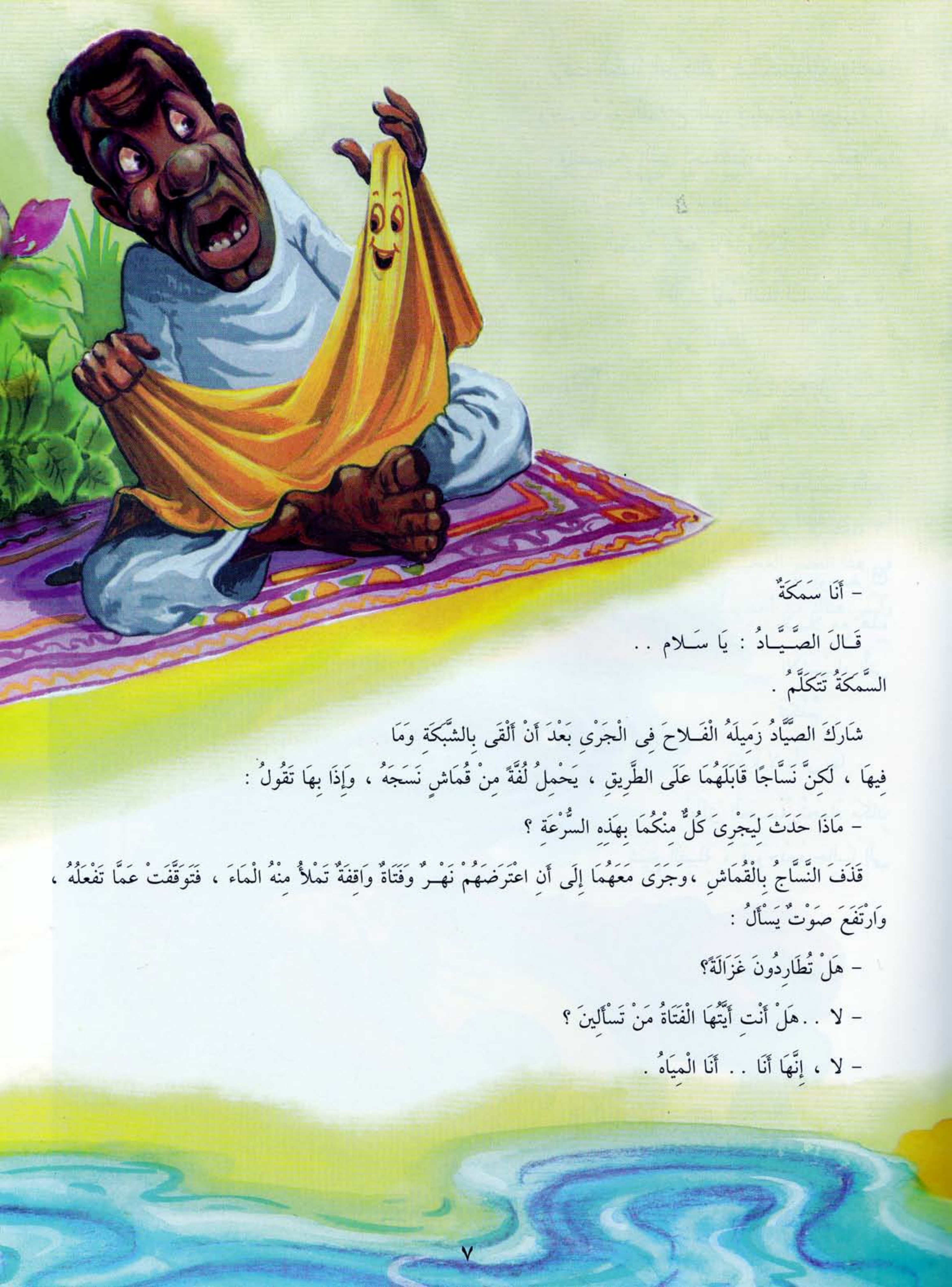
- لِمَاذَا تَجْرِى يَا عَزِيزِى ؟

- لَقَدْ تَكَلَّمَتِ الْجَزَرَةُ ، وَالْعَنْزَةُ ،وَالنَّخْلَةُ ، وَالْحَجَرُ نَطَقَ !

- وَأَىُّ شَىْءٍ فِى هَذَا ؟ إِنَّنِى - أَيْضًا - أَتَكَلَّمُ .

- مَنْ تَكُونِينَ ؟





- أنَا سَمَكَةٌ

قَـالَ الصَّـيَّـادُ : يَا سَـلام . .
السَّمَكَةُ تَتَكَلَّمُ .

شَارَكَ الصَّيَّادُ زَمِيلَهُ الْفَـلاحَ فِى الْجَرْىِ بَعْدَ أَنْ أَلْقَى بِالشَّبَكَةِ وَمَا فِيهَا ، لَكِنَّ نَسَّاجًا قَابَلَهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ ، يَحْمِلُ لُفَّةً مِنْ قُمَاشٍ نَسَجَهُ ، وَإِذَا بِهَا تَقُولُ :

- مَاذَا حَدَثَ لِيَجْرِىَ كُلٌّ مِنْكُمَا بِهَذِهِ السُّرْعَةِ ؟

قَذَفَ النَّسَّاجُ بِالْقُمَاشِ ،وَجَرَى مَعَهُمَا إِلَى أَنِ اعْتَرَضَهُمْ نَهْـرٌ وَفَتَاةٌ وَاقِفَةٌ تَمْلأُ مِنْهُ الْمَاءَ ، فَتَوَقَّفَتْ عَمَّا تَفْعَلُهُ ، وَارْتَفَعَ صَوْتٌ يَسْأَلُ :

- هَلْ تُطَارِدُونَ غَزَالَةً؟

- لا . .هَلْ أَنْتِ أَيَّتُهَا الْفَتَاةُ مَنْ تَسْأَلِينَ ؟

- لا ، إِنَّهَا أَنَا . . أَنَا الْمِيَاهُ .

تَرَكَتِ الْفَتَاةُ الْجَرَّةَ الَّتِى كَانَتْ تَمْلَؤُهَا بِالْمَاءِ، وَجَرَتْ مَعَ الْفَلاحِ الَّذِى كَلَّمَتْهُ الْجَزَرَةُ ، وَالصَّيَّادِ الَّذِى تَحَدَّثَتْ مَعَهُ السَّمَكَةُ ، وَالنَّسَّاجِ الَّذِى نَطَقَ قُمَاشُهُ . وَكَانَ الْجَمِيعُ يَرْتَعِدُ فَزَعًا وَرُعْبًا .

قَالَتْ لَهُمُ الْفَتَاةُ أَثْنَاءَ الْجَرْىِ ، وَهِىَ تَلْهَثُ :

- هَيَّا بِنَا إِلَى شَيْخِ الْقَبِيلَةِ .

- وَمَا الَّذِى يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ ؟

- يُوجَدُ لَنَا حَلا مَعَ هَذِهِ الأَشْيَاءِ الَّتِى تَتَكَلَّمُ .

- فِكْرَةٌ لا بَأْسَ بِهَا .



انْطَلَقَ الْجَمِيعُ تُجَاهَ مَكَانِ شَيْخِ الْقَبِيلَةِ ، فَوَجَدُوهُ جَالِسًا إِلَى مَقْعَدٍ خَشَبِىٍّ ضَخْمٍ .

قَالَ لَهُ الْفَلاحُ : الْجَزَرَةُ تَكَلَّمَتْ وَ . . .

وَقَالَ الصَّيَّادُ : وَالسَّمَكَةُ .

وَقَالَ النَّسَّاجُ : وَقِطْعَةُ الْقُمَاشِ .

وَقَالَتِ الْفَتَاةُ : وَالْمِيَاهُ فِى النَّهْرِ تَكَلَّمَتْ أَيْضًا .

قَالَ شَيْخُ الْقَبِيلَةِ : هَذَا كَلامٌ خُرَافِىٌّ ،أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقْلِقُوا النَّاسَ بِحِكَايَاتِكُمُ الْكَاذِبَةِ ، وَتَرْغَبُونَ فِى إِزْعَاجِ السُّلْطَةِ .



- بَلْ لَقَدْ حَدَثَ هَذَا فِعْلا .

- وَنُؤَكِّدُ لَكَ ذَلكَ .

سَمِعُوا صَوْتًا يَسْأَلُهُمْ : هَلْ سَمِعْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ هَذِهِ الأَصْوَاتَ ؟

قَالُوا فِى نَفَسٍ وَاحِدٍ : نَعَمْ .

- كُلُّ هَذَا لا يَسْتَدْعِى الْخَوْفَ .

- مَاذَا ؟!

- أَهُوَ شَىْءٌ غَرِيبٌ أَنْ يَتَحَدَّثَ الْمَقْعَدُ الَّذِى يَجْلِسُ عَلَيْهِ شَيْخُ القَبِيلَةِ ؟

صَرَخَ شَيْخُ الْقَبِيلَةِ : خُذُونِى مَعَكُمْ ؛ لِنَجْرِىَ كُلُّنَا . . نَحْنُ مَسَاكِينُ . . كُلُّ شَىْءٍ فِى هَذَا الْعَصْرِ الْعَجِيبِ وَالزَّمَنِ الْغَرِيبِ يَتَكَلَّمُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ أَحَدٍ يَسْمَعُ .

الْفَرَاشَةُ الصَّفْرَاءُ



عِنْدَمَا يَهْبِطُ اللَّيْلُ وَيَحُلُّ الظَّلَامُ ، تَقْعُدُ « أُوسَا » الصَّغِيرَةُ وَهِيَ تَعْقِـدُ يَدَيْهَا حَوْلَ رُكْبَتَيْهَا ، وَتَرْتَعِدُ مِنَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ ؛ إِذْ تَتَخَيَّلُ الأَشْجَارَ شَيَاطِينَ ، وَتَتَصَوَّرُ الْغَـابَةَ مَلِيئَةً بِالْعَفَارِيتِ ، وَهِيَ تَظَلُّ فِي مَكَانِهَا هَذَا دُونَ حَرَكَةٍ ، وَلَا تُغَادِرُهُ إِلَى أَنْ تَنَامَ ، وَتَأْتِيَ أُمُّهَا ؛ لِكَيْ تَحْمِلَهَا إِلَى فِرَاشِهَا .

أَمَّا بِالنَّهَارِ فَهِىَ « عِفْرِيتَةٌ » صَغِيرَةٌ ، وَشَيْطَانَةٌ شُجَاعَةٌ ، تَجْرِى هُنَا وَهُنَاكَ ، تَتَسَلَّقُ الأَشْجَارَ ، وَتُمْسِكُ بِالْحَشَرَاتِ ، وَتَصْطَادُ الطُّيُورَ ، وَتُطَارِدُ الْحَيَوَانَاتِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ ، ضَلَّتْ « أُوسَا » طَرِيقَهَا أَثْنَاءَ عَوْدَتِهَا مِنَ الْغَابَةِ إِلَى الْبَيْتِ ، وَلَمْ يُفْلِحِ الْعِقْدُ الأَحْمَرُ الَّذِى أَهْدَتْهُ لَهَا أُمُّهَا فِى أَنْ يَبُثَّ فِى نَفْسِهَا شَيْئًا مِنَ الشَّجَاعَةِ ، أَوْ يُزِيلَ مِنْهَا الْجُبْنَ وَالْخَوْفَ ، وَظَلَّتْ تَسِيرُ بَاحِثَةً عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِى يَقُودُهَا إِلَى مَنْزِلِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ تَعْثُرْ عَلَيْهِ ، وَلَمَحَتْ عَلَى الْبُعْدِ أَضْوَاءً تَنْبَعِثُ مِنْ فَوْقِ شَجَرَةٍ ، وَعِنْدَمَا مَضَتْ نَحْوَهَا ، اكْتَشَفَتْ أَنَّهَا زُجَاجَاتٌ تَنْعَكِسُ عَلَيْهَا أَشِعَّةُ الشَّمْسِ. قَالَتْ مُتَسَائِلَةً :

- أَتَكُونُ هَذِهِ « شَجَرَةَ الزُّجَاجَاتِ » الَّتِى سَمِعْتُ عَنْهَا ؟

إِنَّهُمْ كَثِيرًا مَا يَتَحَدَّثُونَ عَنْهَا وَعَنْ صَاحِبِهَا الْعَجُوزِ . هَلْ تَجِدُهُ هُنَاكَ وَيَدُلُّهَا عَلَى الطَّرِيقِ ؟

مَضَتْ نَحْوَ الشَّجَرَةِ ، وَإِذَا بِهَا تَلْقَاهُ ، وَيَسْتَقْبِلُهَا قَائِلا :

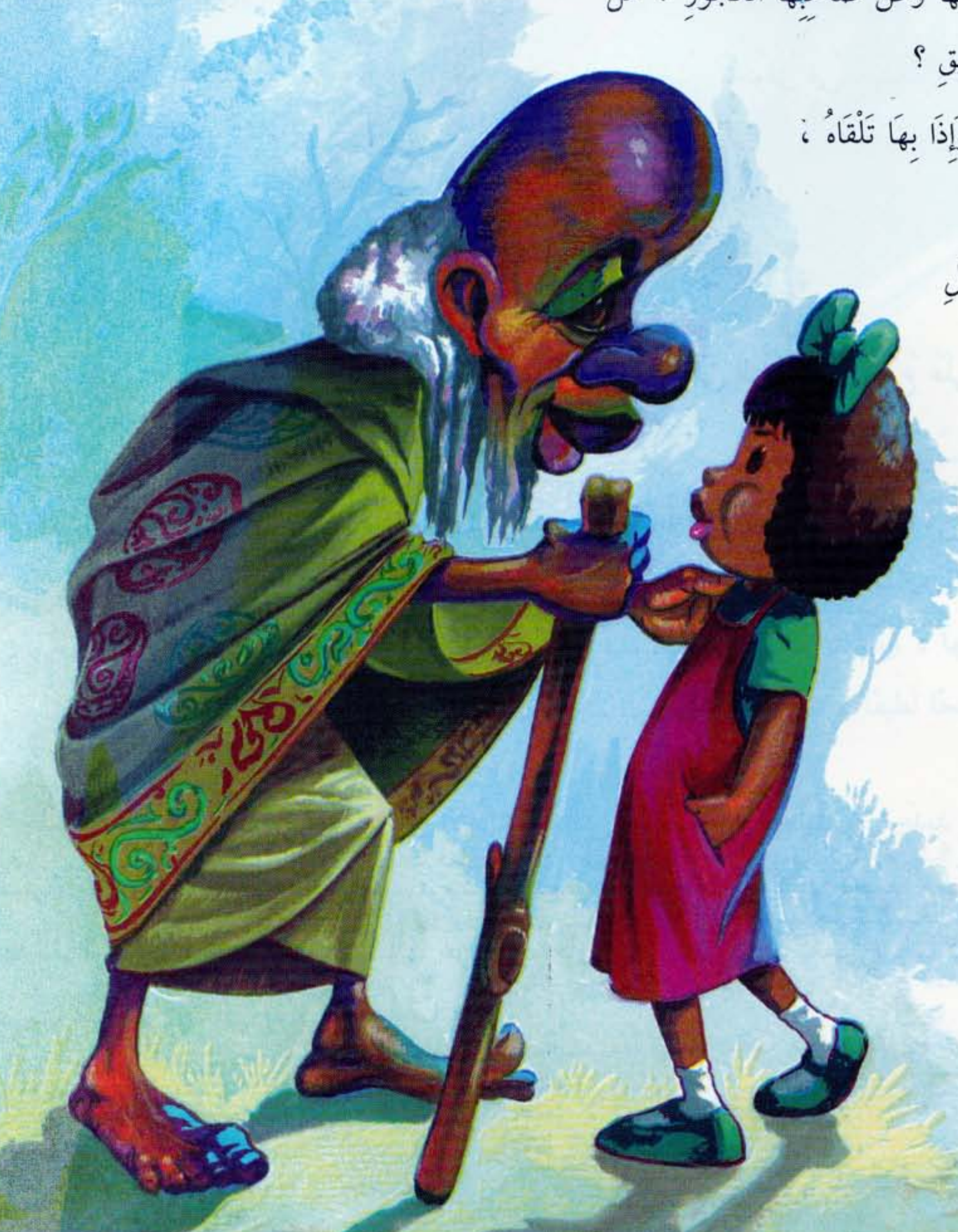
- أَهْلا يَا « أُوسَا » هَلِ اجْتَذَبَتْكِ الأَضْوَاءُ كَالْفَرَاشَاتِ ؟

سَأَلَتْهُ « أُوسَا » : كَيْفَ عَرَفْتَ اسْمِى ؟

- إِنَّنِى أَعْرِفُ الْكَثِيرَ عَنْكِ.

-وَأَنَا أَيْضًا سَمِعْتُ أَنَّ لَدَيْكَ أَعْشَابًا تَشْفِى مِنَ الأَمْرَاضِ ، كَمَا أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى تَفْسِيرِ الأَحْلامِ .

- هَذَا مَا يَقُولُهُ النَّاسُ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُسَاعِدِينِى فِى فَرْشِ هَذِهِ الأَعْشَابِ ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَجِفَّ ؟



- يَسُرُّنى ذَلِكَ كَثيراً .

أَخَذَتْ « أُوسَا » تُعاوِنُ الرَّجُلَ الْعَجوزَ ، وظَلَّتْ تَعْمَلُ طَوِيلا دُونَ أَنْ تَتَنَبَّهَ إِلَى أَنَّ الشَّمْسَ تَقْطَعُ رِحْلَتَهَا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ بِسُرْعَةٍ ، وقَدْ نَسِيَتْ ذَلِكَ ؛ لأَنَّهَا أَخَذَتْ تَتَبَادَلُ الْحَدِيثَ مَعَ الرَّجُلِ العَجُوزِ، وقَدَّمَ لَهَا بَعْضَ الطَّعَامِ والشَّرابِ ،وشَعَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بالتَّعَبِ ؛ فَجَلَسَتْ لِتَسْتَرِيحَ ، وإِذَا بِهَا تَغْفُو وتَنْعَسُ ،فَحَمَلَهَا الْعَجُوزُ إِلَى الْفِرَاشِ . وعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَتْ قُرْبَ الظُّهْرِ قَالَ لَهَا :

- لَقَدْ أَدَّيْتِ عَمَلَكِ فِى بَرَاعَةٍ ، وكُنْتِ شُجَاعَةً وأَنْتِ تَتَسَلَّقِينَ السُّلَّمَ ، وتُسْنِدِينَهُ إِلَى الأَشْجَارِ ؛ لِقَطْفِ أَوْرَاقِهَا!

- إِنَّنِى شُجَاعَةٌ بِالنَّهَارِ ، رِعْدِيدَةٌ بِاللَّيْلِ .

- أَنَا - أَيْضًا - أَخَافُ الْغَابَةَ لَيْلا .

- هِىَ تُخْفِى أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مُزْعِجَةً ؛ إِذْ تَتَجَوَّلُ فِيهَا الْحَيَوَانَاتُ وتُحَمْلِقُ فِىَّ بِعَيْنَيْهَا ، والشَّرَرُ يَنْبَعِثُ مِنْهُمَا .

ابْتَسَمَ الْعَجُوزُ وَهُوَ يَقُولُ لَهَا :

- هَلْ تَرَيْنَ هَذِهِ الْفَرَاشَةَ الصَّفْرَاءَ ؟

- نَعَمْ ، إِنَّهَا جَمِيلَةٌ جدا !

- وَصَغِيرَةٌ جدا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهِىَ تُحَلِّقُ ، وتَطِيرُ ، ولا تَخْشَى السُّقُوطَ والْوُقُوعَ عَلَى الأَرْضِ .

تَطَلَّعَتْ إِلَيْهَا « أُوسَا » وَهِىَ تَقُولُ :

- لا بُدَّ أَنَّ فِيهَا «سرا» مَا .أَنَا شَخْصِيا لَيْسَ عِنْدِى جَنَاحَانِ أَطِيرُ بِهِمَا ، وَأَهْرُبُ مِنَ الْخَوْفِ .

- يَجْدُرُ بِكِ أَنْ تَجِدِى سَبِيلا لِلتَّغَلُّبِ عَلَيْهِ وَمُوَاجَهَتِهِ .

- إِنَّنِى أَتَمَنَّى ذَلِكَ . لَيْتَكَ تُسَاعِدُنِى !

- رَاقِبِيهَا . . تَابِعِيهَا .

جَلَسَتْ « أُوسَا » تَنْفُضُ التُّرَابَ عَنِ الأَعْشَابِ الَّتِى جَفَّتْ ، وَغَفَلَتْ مِنْ جَدِيدٍ ، وَإِذَا بِهَا تَحْلُمُ بِالْفَرَاشَةِ الصَّفْرَاءِ وَهِىَ تَطِيرُ فِى ضَوْءِ الشَّمْسِ ، وكَأَنَّمَا يَنْبَعِثُ مِنْ دَاخِلِهَا ، وكَأَنَّهَا تَحْمِلُهُ مَعَهَا أَيْنَمَا تَوَجَّهَتْ ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْهَا الْفَرَاشَةُ الصَّفْرَاءُ ؛ تُرِيدُ أَنْ تَسْأَلَهَا عَنْ شَىْءٍ، أَوْ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ لَهَا بَعْضَ كَلِمَاتٍ. وَفِى صَوْتٍ رَقِيقٍ نَاعِمٍ ، هَمَسَتِ الْفَرَاشَةُ : تَعَالَى وَرَائِى يَا « أُوسَا » .

- إِلَى أَيْنَ ؟

- سَتَعْرِفِينَ .

مَضَتِ الْفَرَاشَةُ الصَّفْرَاءُ ، وَ « أُوسَا » مِنْ وَرَائِهَا ، تَتَعَقَّبُهَا . طَارَتْ فِى طُرُقٍ ضَيِّقَةٍ مُظْلِمَةٍ ، وَهِىَ مِنْ خَلْفِهَا



كَأَنَّهَا تُطَارِدُهَا . وَفَجْأَةً أَحَسَّتْ « أُوسَا » بِشَىْءٍ يَجْذِبُهَا مِنْ كَتِفَيْهَا ، وَانْتَابَهَا فَزَعٌ شَدِيدٌ، فَتَلَفَّتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ وَإِذَا بِغُصْنِ شَجَرَةٍ أَمَامَهَا ، وَفَجْأَةً وَجَدَتْ أَنَّهَا قَدْ فَقَدَتِ الْفَرَاشَةَ الصَّفْرَاءَ ؛ إِذْ اخْتَفَتْ، وَلَمْ تَعْرِفِ الطَّرِيقَ الَّذِى سَلَكَتْهُ، وَضَاعَ مِنْهَا الضَّوْءُ الَّذِى كَانَتْ تَسْتَدِلُّ بِهِ ، وَتَجْرِى عَلَى هُدَاهُ، فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلا أَنْ قَعَدَتْ عَلَى الأَرْضِ وَعَقَدَتْ يَدَيْهَا حَوْلَ رُكْبَتَيْهَا ، وَبَدَأَتْ تَبْكِى . وَبَعْدَ قَلِيلٍ رَأَتْ نَفْسَهَا تَرْقُدُ حَيْثُ هِىَ ، عَلَى التُّرَابِ وَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ، وَأَحَسَّتْ بِهِ دَافِئًا مُرِيحًا لَطِيفًا ، ثُمَّ شَعَرَتْ أَنَّ شَيْئًا مَا فِى دَاخِلِهَا يَتَغَيَّرُ ، وَتَسَاءَلَتْ :

- مَاذَا يَحْدُثُ لِى ؟

وَجَدَتْ أَنَّ نُقْطَةً مُضِيئَةً قَدْ بَدَأَتْ تَظْهَرُ فِى دَاخِلِهَا ، وَأَنَّ هَذِهِ النُّقْطَةَ تَكْبُرُ وَتَكْبُرُ ، كَأَنَّهَا شَمْسٌ صَغِيرَةٌ ، مِثْلُ تِلْكَ الَّتِى كَانَتْ فِى قَلْبِ الْفَرَاشَةِ الصَّفْرَاءِ ، وَأَحَسَّتْ بِنَفْسِهَا خَفِيفَةً لَطِيفَةً قَادِرَةً عَلَى أَنْ تَطِيرَ فِى الْهَوَاءِ ، وَهِىَ تُحَرِّكُ ذِرَاعَيْهَا ، كَأَنَّمَا هُمَا جَنَاحَانِ رَقِيقَانِ ، وَارْتَفَعَتْ إِلَى أَعْلَى.. إِلَى مَا فَوْقَ الأَشْجَارِ الْبَاسِقَةِ الْعَالِيَةِ ، وَلاحَظَتْ أَثْنَاءَ طَيَرَانِهَا أَنَّ اللَّيْلَ قَدْ حَلَّ ، لَكِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ مُظْلِمَةً جِدا، حَيْثُ كَانَتْ « أُوسَا » تَتَصَوَّرُ أَوْ تَتَخَيَّلُ. رَأَتْ نُوراً مُتَنَاثِراً هُنَا وَهُنَاكَ ، وَتَسَلَّلَ بَعْضُ الأَمَانِ وَالاطْمِئْنَانِ إِلَى نَفْسِهَا ، وَاسْتَمَرَّتْ تَطِيرُ ، مُحَلِّقَةً .

وَعِنْدَمَا فَتَّحَتْ عَيْنَيْهَا ، وَجَدَتْ نَفْسَهَا فِى فِرَاشِ الْعَجُوزِ .

هَلْ نَقَلَهَا إِلَيهِ مَرَّةً أُخْرَى أَمْ تُرَاهَا لَمْ تُغَادِرْهُ ؟

أَيْنَ الْحُلْمُ ؟ وَأَيْنَ الْحَقِيقَةُ فِى كُلِّ مَا رَأَتْهُ ؟ هَلْ هُنَاكَ - حَقًا - فَرَاشَةٌ صَفْرَاءُ أَمْ أَنَّ الأَمْرَ مُجَرَّدُ خَيَالٍ ؟ وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ قَدْ طَارَتْ فِعْلًا أَمْ أَنَّ الْحِكَايَةَ حُلْمٌ طَافَ بِرَأْسِهَا ؟

تَطَلَّعَتْ هُنَا وَهُنَاكَ بَاحِثَةً عَنِ الْعَجُوزِ .

مَا أَكْثَرَ مَا تَنَامُ خِلَالَ أَيَّامِ الصَّيْفِ الْحَارِّ نَهَارًا ، لِمَاذَا لا تَدَّخِرُ النَّوْمَ إِلَى اللَّيْلِ ؛ لِتَهْرُبَ مِنْ ظَلامِهِ وَمِنَ الْخَوْفِ خِلالَهُ ؟

لَمَحَتْ « أُوسَا » الْعَجُوزَ نَشِيطًا ، مَازَالَ يُوَاصِلُ عَمَلَهُ فِى جِدٍّ وَاجْتِهَادٍ ، وَأَحَسَّتْ أَنَّهُ إِنْسَانٌ عَظِيمٌ وَطَيِّبٌ ، بَلْ رَائِعٌ ؛ فَغَادَرَتْ مَكَانَهَا إِلَيْهِ .

سَأَلَهَا : هَلْ رَأَيْتِ أَحْلامًا جَمِيلَةً خِلالَ نَوْمِكِ ؟

- نَعَمْ

وَحَكَتْ لَهُ كُلَّ مَا حَلَمَتْ بِهِ ، وَحَدَّثَتْهُ عَنِ الْفَرَاشَةِ الصَّفْرَاءِ ، وَكَيْفَ تَبِعَتْهَا ، ثُمَّ فَقَدَتْ أَثَرَهَا ، وَرَوَتْ لَهُ كَيْفَ أَنَّ دَاخِلَهَا قَدْ أَصْبَحَ مُضِيئًا ، وَأَنَّهَا تَمَكَّنَتْ مِنْ أَنْ تَطِيرَ ، وَأَضَافَتْ :

- قُلْتَ لِى : إِنِّى سَأَكُونُ ذَاتَ يَوْمٍ - أَقْصِدُ ذَاتَ لَيْلَةٍ - شُجَاعَةً .

- نَعَمْ .

- لَقَدْ حَدَثَ .

كَانَ الْعَجُوزُ يَنْظُرُ إِلَى « أُوسَا » وَهِىَ تَسْتَعِدُّ لِتُغَادِرَ الْمَكَانَ إِلَى بَيْتِهَا ، فَقَالَ لَهَا :

- سَوْفَ يَأْتِى اللَّيْلُ وَأَنْتِ عَلَى الطَّرِيقِ .

- فَلْيَأْتِ . . لَسْتُ أَخْشَاهُ .

- وَالظَّلامُ وَالأَشْبَاحُ ؟

- إِنَّنِى كُنْتُ أَخَافُ حِينَ لا يَكُونُ هُنَاكَ نُورٌ مِنْ حَوْلِى ، وَلَكِنَّنِى أَشْعُرُ الآنَ أَنَّ هُنَاكَ نُورًا بِدَاخِلِى .

هَتَفَ : مَاذَا ؟

- قُلْتُ لَكَ : إِنَّ شَمْسًا نَبَتَتْ بِقَلْبِى ، وَإِنَّ نُورًا يَشِعُّ مِنْهَا ، لايُضِىءُ مَا بِدَاخِلِى فَحَسْبُ ، بَلْ وَالطَّرِيقَ أَمَامِى ، وَيُبَدِّدُ الظَّلامَ فِيمَا حَوْلِى .

- هَذَا شَىْءٌ رَائِعٌ يَا « أُوسَا » ، أَنْتِ وَأَنَا الآنَ أَصْبَحْنَا أَصْدِقَاءَ ، وَأَنْتِ قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تَزُورِينِى حَتَّى فِى مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ .

- لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ ، وَسَوْفَ أَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ مِنْ ضَوْءِ النُّجُومِ وَهِىَ تَنْعَكِسُ عَلَى زُجَاجَاتِ الشَّجَرَةِ

وَتَمْلَؤُهَا بِالنُّورِ .

- سَأَنْتَظِرُكِ يَا « أُوسَا » .

لَوَّحَتْ « أُوسَا » بِيَدِهَا مُودِّعَةً الرَّجُلَ الْعَجُوزَ ، وَمَضَتْ عَلَى الطَّرِيقِ شُجَاعَةً ثَابِتَةَ الْخُطَا ، لا تَخَافُ أَحَدًا ، وَلا تَخْشَى شَيْئًا . وَكَانَتْ عَيْنَاهَا تَخْتَرِقَانِ الظَّلامَ ، وَالنُّورُ يُطِلُّ مِنْهُمَا ، فَتَخْشَاهَا الْحَيَوَانَاتُ ، وَتَتَفَادَاهَا ، وَتُخْلِي لَهَا الطَّرِيقَ . وَكَانَ صَوْتُهَا يَرْتَفِعُ - أَحْيَانًا - بِالْغِنَاءِ ، فَيُؤْنِسُهَا ، وَيُفْرِحُهَا وَيُبْهِجُهَا ، وَيَزِيدُهَا شَجَاعَةً عَلَى شَجَاعَتِهَا . وَكَانَتْ أَغْصَانُ الشَّجَرِ تَنْحَنِي لَهَا أَثْنَاءَ سَيْرِهَا ، بَلْ إِنَّ بَعْضَهَا كَانَ يَنْحَنِي ؛ تَحِيَّةً وَتَقْدِيرًا .

وَعِنْدَمَا وَصَلَتْ إِلَى الْبَيْتِ وَجَدَتْ أُمَّهَا فِي انْتِظَارِهَا وَهِيَ قَلِقَةٌ ، وَمَا إِنْ رَأَتْهَا حَتَّى صَاحَتْ فِيهَا :

- أَيْنَ كُنْتِ كُلَّ هَذَا الْوَقْتِ إِلَى أَنْ حَلَّ الظَّلامُ ؟

- كُنْتُ أُبَدِّدُهُ وَأَهْزِمُهُ ، وَأُسَاعِدُ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ عَلَى تَجْفِيفِ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ ، وَأُطَارِدُ الْفَرَاشَةَ الصَّفْرَاءَ ؛ بَحْثًا عَنِ الطَّرِيقِ .

- وَمَاذَا عَنْ خَوْفِكِ مِنَ الظَّلامِ ؟

- الظَّلامُ ؟ أَيُّ شَيْءٍ هُوَ ؟ وَمَا الَّذِي يُخِيفُ فِيهِ ؟

- كُنْتِ تَرْتَعِدِينَ مِنْهُ ؟

- كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُوجَدَ الشَّمْسُ بِدَاخِلِي وَقَبْلَ أَنْ يُشْرِقَ النُّورُ فِي صَدْرِي . لَقَدْ تَعِبْتُ ، وَأُرِيدُ أَنْ أَرْقُدَ فِي فِرَاشِي .

- أَلَنْ تَقْعُدِي وَتَعْقِدِي ذِرَاعَيْكِ حَوْلَ رُكْبَتَيْكِ ، وَتَنَامِي حَيْثُ أَنْتِ ، وَأَحْمِلُكِ إِلَى سَرِيرِكِ ؟

- لا . . لا ، سَوْفَ أَمْضِي إِلَيْهِ هَادِئَةً وَفِي عُمْقٍ وَأَنَا مُلْتَحِفَةٌ بِالظَّلامِ !

فهرس

رقم الإيداع ٣٠٥٩ / ٩٨ الترقيم الدولى: ISBN : 977 - 261 - 602 - 5



حكايات الشعوب

تؤلّف الشعوب حكايتها الجميلة، تنبت لها أجنحةً، ترفرف بها وتطير مهاجرة حُرَّة لا تعرف الحدود أو القيود، تهبط فى هذه السلسلة فوق شجرتنا، تغرد، تغنى، تمتعنا، وتحلق عاليًا، تزيد من معرفتنا للإنسان فى كل زمان ومكان، تخاطب فينا وجداننا وعقولنا، وتثير فينا حُبا للشعوب والناس والحياة على كوكبنا، هى حكايات ملونة، عذبة، جذابة، شيقة، رشيقة.

عناوين السلسلة

* توكيتارو. وحكايات أخرى من اليابان.
* هونشى وحكايات أخرى من اليابان.
* بيت العنكبوت وحكايات أخرى من إفريقيا.
* الفراشة الصفراء وحكايات أخرى من إفريقيا.
* دون دمينينو وحكايات أخرى من إسبانيا.
* الطاووس الأبيض وحكايات أخرى من إسبانيا.
* حضرة العمدة وحكايات أخرى من السُّلاف.
* من يفوز وحكايات أخرى من السُّلاف.
* إن شاء الله وحكايات أخرى من إندونيسيا.
* تل النمل وحكايات أخرى من إندونيسيا.
* قوس قزح وحكايات أخرى عن الهنود الحمر.
* آكل السحب وحكايات أخرى عن الهنود الحمر.

6 222002 115924

سفير ٥ ش جزيرة العرب - المهندسين - القاهرة - ص.ب: ٤٢٥ الدقى ت: ٣٣٧٩٧٥٢ - ٣٣٥٣٧١١ - ٣٣٥٣٧١٢ - ٣٤٩٤١٣٩ فاكس: ٣٤٨٠٢٩٩